نظرات شرعية

في فكر منحرف

سليمان بن صالح الخراشي

الجزء الأول

نظرة شرعية في فكر: نصر حامد أبوزيد

ترجمته[1]:

من مواليد ١/ ٧/ ١٩٤٣م، طنطا ـ محافظة الغربية، حاصل على دكتوراه من قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة القاهرة، في الدراسات الإسلامية ١٩٧٢، عين سنة ١٩٩٥ أستاذًا بقسم اللغة العربية وآدابها نفس الكلية .

تلقى في سنة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٧ منحة من مؤسسة فورد (!) للدراسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفي سنة ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ منحة من مركز دراسات الشرق الأوسط، جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن سنة ١٩٨٥ ـ ١٩٨٩ عين في اليابان، جامعة أوساكا للغات الأجنبية كأستاذ زائر، أما في سنة ١١٩٥ وحتى هذه الساعة فيعمل كأستاذ زائر (أستاذ دكتور) في جامعة ليدن بهولندا. من مؤلفاته: «الإمام الشافعي وتأسيس الإيدلوجية الوسطية»، «نقد الخطاب الديني»، «البحث عن أقنعة الإرهاب»، «التراث بين الاستخدام النفعي والقراءة العلمية»، «إهدار السياق في تأويلات الخطاب الديني»، «مفهوم النص»، «التفكير في زمن التكفير»، «إشكاليات القراءة وآليات التأويل» .

رد عليه كثيرون: منهم: الأستاذ محمد جلال كشك في «قراءة في فكر التبعية»، وعبدالصبور شاهين في «قصة أبوزيد وانحسار العلمانية في

---

(١) «موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين»، (١/ ٣٩-٤٣).

جامعة القاهرة»، والدكتور رفعت عبدالمطلب في «نقض كتاب نصر أبوزيد ودحض شبهاته»، والدكتور سيد العفاني في «أعلام وأقزام»، والدكتور محمد سالم أبوعاصي في رسالته «مقالتان في التأويل ـ معالم في المنهج ورصد للإنحراف»، والدكتور عواد العنزي في رسالته «المعاد الأخروي وشبهات العلمانيين» ـ لم تُطبع بعد ـ، والدكتور حسن الأسمري في رسالته: «موقف الاتجاه الفلسفي المعاصر من النص الشرعي».. وغيرهم.

قلت: ومن أفضل من رد عليه وكشف حقيقة أفكاره: الأستاذ طارق منينه في رسالته «أقطاب العلمانية في العالم العربي والإسلامي»(١)، ومنه ألخص الآتي لأهميته مع إضافات :

فكرته :

نادى أبوزيد بإخضاع القرآن لنظرية غربية مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بيئوي أسطوري، ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة .

اسم هذه النظرية «الهرمنيوطيقا»، و«مصطلح الهرمنيوطيقا» مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني «الكتاب المقدس» .. يشير المصطلح إلى «نظرية التفسير» ويعود قدم المصطلح للدلالة على هذا المعنى إلى عام ١٦٥٤م وما زال مستمرًا

---

(١) (١/٦١-١٠٩).

حتى اليوم خاصة في الأوساط البروتستانتية. وقد اتسع مفهوم المصطلح في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعًا تشمل كافة العلوم الإنسانية؛ كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفلوكلور.

والقضية الأساسية التي تتناولها «الهرمنيوطيقا» بالدرس هي معضلة تفسير النص بشكل عام، سواء كان هذا النص نصًا تاريخيًا، أم نصًا دينيًا .

من علماء «الهرمنيوطيقا» المفكر الألماني شلير ماخر (١٨٤٣م) و«ويلهلم ديلش» (١٨٣٣م ـ ١٩١١) و«مارتن هيدجر» و«جادامر».

يقول نصر أبو زيد: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي، نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن»[١].

يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري عن الهرمنيوطيقا: «هي مشتقة من الكلمة اليونانية (Hermeneuin) بمعني يُفسِّر أو يوضِّح ـ من علم اللاهوت ـ حيث كان يقصد بها ذلك الجزء من الدراسات اللاهوتية المعني بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية تبعد عن المعنى الحرفي المباشر، وتحاول اكتشاف المعاني الحقيقية والخفية وراء النصوص المقدسة» ـ كما تزعم[٢] ـ.

---

(١) «إشكاليات القراءة وآليات التأويل»؛ لنصر حامد أبو زيد (ص٤٩، وما قبلها).

(٢) للزيادة عن الهرمنيوطيقا يُنظر: «مدخل إلى الهرمنيوطيقا: نظرية التأويل من أفلاطون إلى =

لقد طالب أبوزيد بالتحرر من سلطة «النصوص» وأولها «القرآن الكريم» الذي قال عنه: «القرآن هو النص الأول والمركزي في الثقافة»[١]. «لقد صار القرآن هو «نص» بألف ولام العهد»[٢] «هو النص المهيمن والمسيطر في الثقافة»[٣] «فالنص نفسه ـ القرآن ـ يؤسس ذاته دينًا وتراثًا في الوقت نفسه»[٤].

وقال مطالبًا بالتحرر من هيمنة القرآن: «وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا قبل أن يجرفنا الطوفان»[٥].

وهو نفسه ما فعلته أوروبا مع «الوحي» و«الدين» باعتبارهما إنتاج مجتمعات قديمة وبيئات ثقافية متخلفة، وينقل «نصر أبو زيد» المعركة مع «الوحي» إلى ساحة العالم الإسلامي فيقول: «بأن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي»[٦]! .

= جادامر» للأستاذ عادل مصطفى. وللفائدة فإن مفكري وفلاسفة الشيعة يحتفون كثيرًا بهذه الفكرة التي تخدم باطنيتهم وتأويلاتهم!؛ ولهم أبحاث كثيرة عنها.

(١) النص، السلطة، الحقيقة، ص١٩.

(٢) مفهوم النص، ص٢٧.

(٣) مفهوم النص، ص٢٧.

(٤) النص، السلطة، الحقيقة، ص١٦.

(٥) الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية ص١٤٦.

(٦) مفهوم النص، ص٢٤.

ويقول «إن القول بأن النص منتج ثقافي يكون في هذه الحالة قضية بديهية لا تحتاج إلى إثبات»[(١)].

سوف نستدعي دكتورًا علمانيًا يشترك مع د. نصر في «الإلحاد المشترك» هو د. على حرب، وفقط سندعه يعلق على موقف د. نصر في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ «العلمانية» في عالمنا العربي والإسلامي، سندعه يوضح لنا هدف د. نصر حامد أبو زيد. يقول حرب: «يستهدف أبو زيد، بالنقد والتحليل، خطاب الوحي، بجعله مادة لمعرفة نقدية عقلانية، شأنه بذلك شأن أي خطاب بشرى وأي إنتاج معرفي .. مستلهمًا موقف طه حسين الذي اعتبره أبو زيد الفدائي الأول في مقاومته للنظرة التقديسية إلى النصوص الدينية»[(٢)].

ويعلق على كتابه «مفهوم النص» بالقول: «كان أولى به أن يسمي هذا الكتاب «نقد النص» إذ هو يتناول فيه القرآن وعلومه تناولاً تحليليًا نقديًا.. أجل إنها لجرأة بالغة أن يتعامل باحثنا مع النص القرآني بوصفه «منتجًا ثقافيًا»، أنتجه واقع بشري تاريخي»[(٣)]!! .

إن د. على حرب نفسه كان قد طالب بالتحرر ـ أيضًا ـ من النصوص الدينية ومن وصاية الشريعة! وهو يحب هذه الجرأة! ويمدح هذه الطائفة

(١) المرجع السابق، ويقول «الأوضاع والظروف التي أنتجت النص» نقد الخطاب الديني، ص١٤٥.

(٢) نقد النص، لعلى حرب، ص٢٠١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠٠.

العلمانية الجريئة في نقد الوحي القرآني من أمثال أركون وأبو زيد وأدونيس وغيرهم ويعتبرهم كما ذكر في الكتاب نفسه الذي علق فيه على كلام «نصر أبو زيد» المتقدم: نقاد الوحي والشريعة «أهل التذكرة» وأنهم «ذوى البصيرة، أي ذوى الألباب»(١)!!

إن مشروع «نصر أبو زيد»، هو وضع التصورات الماركسية والمضامين المادية الجدلية وتفسيراتها للحياة والكون والإنسان والوحي والنبوة والغيب والعقيدة في المعنى القرآني فيصير القرآن ماركسيًا ينطق باسم ماركس وفلاسفة المادية الجدلية والهرمنيوطيقا (نظرية تفسير مادية) فيغير بذلك المفاهيم الرئيسة للقرآن، ويلغي المعاني الحقيقية للسور والآيات، ويطمس الحقائق الدينية التي رسخها القرآن وبينتها السنة.

وهو لا يفعل في معركته مع الإسلام وتاريخه وعلمائه المحدثين والقدامى إلا ما يفعله الماركسيون العرب إحياء للموقف اللينيني الذي وظف التراث في الصراع الأيديولوجي، فلينين - كما يقول جورج طرابيشي - هو أول من دعا إلى التعاطي مع التراث بمنهج البضع والبتر من خلال مناقشاته في مطلع القرن مع الشيوعيون الروس ... فلينين .. لم يكن يهمه من التراث حقيقته التاريخية، بل قابليته للتوظيف في الصراع الأيديولوجي»(٢).

---

(١) المرجع السابق، ص٢٤.

(٢) مذبحة التراث، ص١١، ولينين كان شديد الإنكار على اختصار الطريق بالقفز مباشرة إلى =

إنه منهج الإسقاط الأيديولوجي، الذي يستخدم القرآن للأيديولوجية المسبقة!

يقول طرابيشي [العلماني]: «منهج الإسقاط الأيديولوجي يتنطع أكثر من الفهم أو عدم الفهم، فهو ينصب نفسه جراحًا يريد إخضاع التراث لعملية جراحية ليستأصل منه ما يعتقد أنه أورامه الخبيثة، وتراءى لنا، من وجهة نظر تاريخية، أن قصب السبق في مداورة المنهج البضعي أو البتري يعود إلى المثقفين والباحثين الملتزمين بالرؤية الماركسية للعالم»(١) .

هذه «خبرة» طرابيشي من داخل الماركسية يقول عن نفسه: «فلقد كان لكاتب هذه السطور، هو أيضًا طور ماركسي في تطوره الفكري»(٢)!. ولا يعنى ضبط طرابيشي هؤلاء الماركسيين متلبسين بالتلاعب بالتراث أنه معنا داخل الأسوار فهو أولا نصراني ثم ماركسي ثم أخيرًا فرويدي فاحش.

=

الهدف! وقد رفض «نظرية الهجوم» التي وضعها الزعماء الشيوعيون الألمان الذين تسببوا في انهيار أكبر وأقوى الأحزاب الشيوعية في العالم أجمع وقتذاك ـ ٢٤ آذار ١٩٢١ كانت بداية النهاية! ـ ومن الأحزاب الشيوعية العربية من حذا حذوهم فانهاروا كالحزب الشيوعي العراقي الذي كان له تواجد قديم في الساحة السياسية ونفوذ في أوساط الشباب جعله أقوى الأحزاب لسنوات طويلة، إلا أنه استعجل بعض الاستعجال في أعقاب ثورة ١٩٥٨م، وباشر التصفيات الدموية ضد أعدائه فسقط، وكرهه الناس، وأصبح حزبًا ثانويًا، ودفع الثمن غاليًا، كذلك الحزب الشيوعي السوداني كان قويًا، فورطه هشام العطا سنة ١٩٧١م، ورفع الرايات الحمراء فجأة، فدفع ثمنًا باهظًا أيضًا، وأطيح برؤوسه، انظر: «المسار» لمحمد أحمد الراشد، ص٢٣١ ـ ٢٣٣.

(١) مذبحة التراث، ص ١١.

(٢) مذبحة التراث، ص ١١.

إن «القرآن» عند المستترين بالإسلام من المتلاعبين بالنصوص من فئة العلمانيين الذين اتخذت طريق الهدم من الداخل وسيلة لتهديم المجتمع الإسلامي ومقدساته الإسلامية إن «القرآن» عندهم «قالب وإناء» «فارغ»، لاينطق بما أنزل به من عند الله على محمد ﷺ رسول الله وخاتم النبيين وإنما ينطق بأيديولوجياتهم المسبقة، فهم يحاولون أن يجعلوه بحسب هذه الأيديولوجيات الحديثة ناطقًا رسميًا لهم وحسب! يقول ما يقولونه ويتكلم بما يتكلمون به، وهو عندهم كما قال «أبو زيد» و«على حرب» ينطق بكل المذاهب والفلسفات؛ أي أنه ليس له معنى ثابت، فمن شاء أن يجعله وجوديًا فلا حرج، وماركسيًا لا مانع، صهيونيًا ما المشكلة، وجوديًا ما الاعتراض، عبثيًا ما الخلل؟!

هذا هو إعجازه عندهم، يقول د. على حرب في وقاحة متناهية: «ليس إعجازه إذًا مجرد كونه ينطوي على تشريع أو تسنين، وإنما كونه ينفتح على كل معنى بحيث يمكن أن تتمرأى فيه كل الذوات(!) وأن تُقرأ فيه مختلف العقائد والشرائع»[1].

إذن: فأبوزيد يتهم الوحي بأنه ليس له مصدر سماوي مقدس، وينفي عنه صفه الفوقية ـ إن صح التعبير ـ لأنه عنده خرج من الواقع ورجع إلى الواقع وليس هناك إلا الواقع! وهو ينص على ذلك في قوله: «فالواقع أولاً والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا»[2]!! الواقع فقط!!

---

(١) نقد النص، ص٨٧.

(٢) نقد الخطاب الديني، ص١٣٠.

وهو يظن أنه بهذه الاتهامات يستطيع أن ينزع صفة الوحي الإلهي عن القرآن، ويظن أنه قد حطم بذلك الأسطورة الدينية وكشف عن حقيقة رموزها ـ والرموز بزعم الماركسية هي الله ـ تعالى عن قوله ـ، الملائكة، الجن، الوحي، الغيب، اليوم الآخر، وما إلى ذلك ـ إن النص التالي له يكشف لنا عن الأدوات التي يمكنه هو وغيره استخدامها بجانب فلسفة الهرمنيوطيقا في تحليل القرآن، يقول: «يركز «بول ريكور» اهتمامه على تفسير الرموز، وهو يفرق بين طريقتين للتعامل مع الرموز، الأولى هي التعامل مع الرمز باعتباره نافذة نطل منها على عالم من المعنى، والرمز في هذه الحالة وسيط شفاف عما وراءه (!) هذه الطريقة يمثلها «بولتمان» في تحطيمه للأسطورة الدينية في العهد القديم والكشف عن المعاني العقلية التي تكشف عنها هذه الأساطير. وهذه الطريقة يطلق عليها «ريكور» «Dymythologizing» والطريقة الثانية يمثلها كل من «فرويد» و«ماركس» و«نيتشه» وهي التعامل مع الرمز باعتباره حقيقة زائفة لا يجب الوثوق به، بل يجب إزالتها وصولا إلى المعنى المختبئ وراءها Dymystification إن الرمز في هذه الحالة لا يشف عن المعنى، بل يخفيه ويطرح بدلاً منه معنى زائفًا، ومهمة التفسير هي إزالة المعنى الزائف السطحي وصولاً إلى المعنى الصحيح. لقد شككنا فرويد في الوعي باعتباره مستوى سطحيًا يخفي وراءه اللاوعي، وفسر كل من ماركس ونيتشه [1] الحقيقة الظاهرة باعتبارها زائفة ووضعا نسقًا من

---

(١) عن نيتشه يقول د. فؤاد زكريا «ففي رأيه بين الله والإنسان في الخلق تعارضًا، ولا بد لكي =

الفكر يقضي عليها ويكشف زيفها، وإذا كان تفسير الرموز عند بولتمان أو فرويد أو نيتشه أو ماركس ينصب على الرموز بمعناها العام اللغوي والاجتماعي فإن تعريف ريكور للرمز معبرًا عنه باللغة، ومن ثم ينصب التفسير عنده على تفسير الرموز في النصوص اللغوية، وهذه هي غاية الهرمنيوطيقا»[1]!! .

إذن؛ فغاية الهرمنيوطيقا ـ التي هي نظرية في التفسير غربية المبنى والمعنى ـ تحطيم الأسطورة الدينية، والرمز لا يعنى شيئًا قط، وإنما هو وسيط شفاف ـ أو حقيقة زائفة ـ ينم عما وراءه من موروثات لغوية بيئية معرفية تاريخية أسطورية!

ينقل «نصر أبو زيد» هذه النظرية، ليقوم بنفس الغاية التي توصل إليها هؤلاء الملاحدة مع الكتب اليهودية والمسيحية، وبدل أن يكتفوا بإظهار أساطير القوم، الأساطير التي أظهرها الإسلام من قبلهم!، أقبل نيتشه مثلاً وأعلن «أن الله قد مات»! وقال ماركس بأن الحياة مادة ولا إله! وغير ذلك من خرافات وترهات الماديين الماركسيين. وبهذه الأدوات حاول «أبو زيد» أن يتعامل مع «القرآن» وبهذه العيون الغربية التي كلما وجدت ـ أو قرأت أو سمعت! ـ اسم الله اشمأزت منه، اشمأزت منه قلوب الذين

=

يتسع الطريق أمام قوة الإنسان أن تزاح كل العقبات من طريقه» نيتشه، ص٤٦، وانظر، ص١٣٣، ويقول «فلم يكن نقد نيتشه لفكرة الألوهية لا يدع مجالاً للشك في أنه تخلى تمامًا عن هذه الفكرة» ص١٣٣

(١) إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص٤٤، ٤٥.

كفروا، واعتبرته رمزًا لا يقول شيئًا ولا يعنى شيئًا إنما هو حقيقة زائفة أو نافدة نطل منها على معان مناقضة لحقيقتها تمامًا!

بهذه الموازين المادية التي تنفي وجود الله وتلغي عالم الغيب لصالح عالم الحس انتهج «نصر ابو زيد» طريقًا في تحليل القرآن وتفسيره أي بأفق الماركسية والمادية الجدلية والهرمنيوطيقا الجدلية. بهذه الموازين نظر إلى القرآن وآياته وإلى التفسير والمعاني المستنبطة منه، ويؤكد على ذلك بقوله: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي، نقطة بدء أصلية للنظر إلى علاقة المفسر بالنص لا في النصوص الأدبية، ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن؛ لنرى كيف اختلفت الرؤى (!)، ومدى تاثير كل عصر ـ من خلال ظروفه ـ للنص القرآني»[1].

إنه يجعل هذه الأدوات الإلحادية هي نقطة الانطلاق لتأويلاتها، فينزع عن القرآن مضمونة باعتبار أن مضمون القرآن أسطوري غيبي، ويعطيه دلالات ومضامين أخرى يزعم أنها الوعي بالتاريخ والعالم والنصوص!

يقول عن وعيه الجديد إنه: «وعي ينقل الثقافة، كما نقل المواطن من حالة إلى حالة، ومن مرحلة «الوعي الديني الغيبي الأسطوري» إلى

(١) إشكاليات القراءة، ص٤٩.

مرحلة «الوعي العلمي»[١].

وهو هنا يعطي للنظرية المادية التي تنكر الله سبحانه وتعالى وترفض الوحي، يعطيها صفة «العلمية» و«الهيمنة» على القرآن! ويريد أن ينقل الثقافة الإسلامية والحقائق الإسلامية إلى حالة أخرى مغايرة لها تمامًا، حالة الوعي الماركسي والفرويدي اللعين، والذي أدى في عالم الغرب إلى فصل الإنسان عن ربه وخالقه ومبدعه في نفس الوقت الذي أنزله إلى مرتبة الحيوان [دارون] وحلل نفسيته بأنها حيوان أشد ولوغًا في الجنس من الحيوان .

إن هذا الوعي العلمي المتطرف في حكمه على الدين أدى إلى خلل كبير: «إن التصور الغربي للإنسان يشتمل على خلل أساسيين: الخلل الأول هو اعتبار أن الإنسان هو ذلك الحيوان الدارويني المتطور، الذي قدمته نظرية دارون في القرن الماضي، وما تزال تغذيه في كثير من مجالات الدراسة، والدراسات الاجتماعية بصفة خاصة، والخلل الثاني هو دراسة الإنسان بمعزل عن خالقه الذي أنشأه وأخرجه إلى الوجود»[٢].

وكان قد ادعى ماركس وفرويد ونيتشه وريكور وجادامر وشليرماخر وبولتمان وغيرهم كثير أن ليس للإنسان في ظل التطورات الفكرية والفلسفية الغربية الحديثة، ليس له مرجعية خارج حدود نفسه، أي إقامة

---

(١) النص، السلطة الحقيقة ٤١ قبل ذلك قليلاً قال «إن خطاب التنوير فشل في إحداث التنوير» وذلك أنه لم يحدث وعي علمي ـ على نمط وعي أبو زيد ـ بالتراث!!.

(٢) حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ص٥١.

الإنسان نفسه مرجعًا بدلاً من الله، وراحوا ينظرون إلى الوحي الإلهي على أنه أسطورة، ونقلها نصر حامد أبو زيد معركة ضارية مع القرآن عازلاً عنه مضمونه الحقيقي ومضيفًا إليه مضمونًا ماديًا بحتًا، ماركسيًا في غايته، ماديًا في نظرته، مدعيًا أن ذلك هو التأويل الحقيقي المحترم للقرآن!! وأنه يؤمن بثوابت الإسلام!! تقول بروتوكولات حكماء صهيون: «لاحظوا أن نجاح دارون وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، وأن الأثر الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحًا لنا بكل تكيد»! وليس هناك أوضح من ذلك التأثير غير الأخلاقي الذي جعل نصر أبو زيد يجلب تلك النظريات المادية ومضامينها الإلحادية ليغير بها معاني القرآن وحقائق القرآن وثوابت القرآن: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

تطبيقات الهرمنيوطيقا:

نأتي هنا إلى تطبيقاته لهذه الفلسفة على القرآن وإعطاؤه مضامينها المجازية التي تنكر وجود الله وتنفي ما أثبته القرآن من حقائق. فالهدف من الهرمنيوطيقا هو ـ حسب قوله: «أن يعاد فهم النصوص وتأويلها بنفي المفاهيم التاريخية الاجتماعية الأصلية(!) وإحلال المفاهيم المعاصرة الأكثر إنسانية وتقدمًا(!)، مع ثبات مضمون النص(!). إن الألفاظ القديمة لا تزال حية مستعملة لكنها اكتسبت دلالات مجازية»[1].

(١) نقد الخطاب الديني، ص١٣٣.

قلتُ: كيف يكون ثبات مضمون النص مع تغيير مضمون النص ؟!

وفي النص التالي يقدح في مضمون ما سماه النص ويقدح ـ ويسخر كذلك ـ في إيمان العالم الإسلامي المتمسك به ـ يقول: «بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه(!) ومملكته وجنوده الملائكة وما زال يتمسك بالدرجة نفسها من الحرفية بالشياطين والجن والسجلات التي تدون فيها الأعمال والأخطر من ذلك تمسكه بحرفية صور العقاب والثواب(١) وعذاب القبر ونعيمه ومشاهد القيامة والسير على الصراط ... إلى آخر ذلك كله من تصورات أسطورية»(٢)!! .

فهو يحذف وينفي هذا المضمون القرآني وهذه الحقائق القرآنية ويجعلها أسطورية!! وطبعًا لا يستسيغ ما سماه «ظاهرة الوحي» «ظاهرة النص» وفوقيته وثوابته التي نبذها منذ هنيهة، فقد أنكر هذه «الحقائق» واعتبرها «مزيفة» .

الأدهى من ذلك، هو أنه ادعى أن أساس «الوحي» ليس هو التنزيل السماوي، وأنه ليس تبليغ رسول الله ﷺ إلى الناس «وحيًا من الله» وإنما أساسه هو ما كان يعتقده العربي من إمكانية الاتصال بين البشر والجن ـ وقد قال بأن هذه الإمكانية أسطورية كما سيأتي بعد قليل، بالإضافة إلى حضور وبروز ظاهرتي الشعر والكهانة في المعرفي/ التاريخي عند

(١) ومع ذلك زعم أنه مسلم يؤمن باليوم الآخر! «الأهرام» ١٩/٦/١٩٩٥، و«المصور» ٢٣/٦/ ١٩٩٥، وانظر: «التفسير الماركسي للإسلام»، ص٥٣.

(٢) النص، السلطة، الحقيقة، ص١٣٥.

العرب وارتباطهما بالجن: «لقد كان ارتباط ظاهرتي (الشعر والكهانة) بالجن في العقل العربي وما ارتبط بهما من اعتقاد العربي بإمكانية الاتصال بين البشر والجن هو الأساس الثقافي لظاهرة الوحي الديني ذاتها»(١)!!

كل ذلك عند أبو زيد ظواهر اجتماعية، أفرزها الواقع وطورتها الكهانة والشعر والوحي، واخترعتها مخيلة الأساطير!

الوحي عنده هو «ظاهرة» في «الثقافة» والثقافة عنده إفراز ونتائج التطورات المادية والبنى الاقتصادية والاجتماعية!

فـ «ظاهرة النص» و«ظاهرة الوحي» و«ظاهرة النبوة» و«الظاهرة الدينية» ـ وهى أوصاف نصر أبو زيد ـ نتاج البيئة، والنبوة عنده ليست ظاهر فوقية مفارقة(٢) وإنما هي فاعلية خلاقة لم تتجاوز الآفاق المعرفية للجماعة التاريخية، وهى آفاق تحكمها طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماعة»(٣).

فظاهرة الوحي ـ بحسب وصفه للوحي وزعمه عنه ـ لم تكن غريبة عن الرسول فهو: «كان يعانى دون شك إحساسًا طاغيًا بالإهمال والضياع»(٤) ولأنه ـ بحسب زعم نصر أبو زيد ـ لم يكن يعزل نفسه عن

---

(١) مفهوم النص، ص٢.

(٢) المرجع السابق، ص٥٢.

(٣) المرجع السابق، ص٦٣.

(٤) المرجع السابق، ص٦٧.

الواقع ولا عن استخدام إمكانياته وتطويرها لصالحه وما يدعو إليه فقد كرر في النص القرآني، الذي يبدأ بـ (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الفعل «خلق» ليعوض عن إحساسه بالإهمال الذي لقيه من المجتمع وليختلق له ربا!!

يقول: «ولا شك أن إحساس محمد الذي تتوجه إليه هذه الرسالة ـ بأن ربه هو الذي خلق، يتصاعد بذاته وبقيمته وأهميته، ويداوي إحساس اليتم والفقر في أعماقه. ولأن محمدًا لا يعزل نفسه من الواقع وعن إنسان مجتمعه فإن النص يكرر الفعل «خلق» كاشفًا لمحمد عن تساؤلاته عن الإنسان»[1] «إن المتحدث إلى محمد بالوحي ليس غريبًا عنه»[2]!.

فهو هنا يجعل النص من إنتاج محمد ﷺ الذي لا يعزل نفسه عن الواقع ولذلك، ولسبب إحساسه بالفقر واليتم، كرر الفعل «خلق» في هذه السورة مرات ليشعر بأن له كفيلاً وعائلاً ووكيلاً.

وليس المتحدث بالوحي إلى محمد ﷺ في فلسفة «نصر أبو زيد» المادية إلا محمد نفسه ﷺ فالوحي ليس غريبًا عنه من هذا الوجه!

وبدلاً من معالجة هذه العزلة وهذا الإحساس باليتم والفقر بالدخول في عالم الكهانة والاتصال بالجن، فإن محمدًا ﷺ اتخذ وسيلة أخرى للتعبير عن نفسه فيما سمي «الوحي» هكذا يفكر نصر أبو زيد تقليدًا للملاحدة من الغربيين!

---

(١) المرجع السابق، ص٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص٦٧.

وقد طور هذا الوحي الواقع وأعاد صياغته من جديد بما يتلاءم مع ظروف النبي ﷺ! «إن النصوص وإن تشكلت من خلال الواقع والثقافة تستطيع بآلياتها أن تعيد بناء الواقع ولا تكتفي بمجرد تسجيله أو عكسه عكسًا آليًا مرآويًا بسيطًا»(١). كل ذلك يتماشى مع فلسفة المادية الجدلية التي تدعى أن الواقع هو منشئ الوعي والدين والأخلاق وليس العكس؛ وأن الوحي ما هو إلا من خيال الأنبياء ناتج عن ظروف الفقر واليتم والاضطهاد!

أخيرًا: يدعي الدكتور نصر أبو زيد أن: «اعتماد حل المشكلات على مرجعية النصوص الإسلامية من شأنه أن يؤدى إلى إهدار حق المواطن بالنسبة لغير المسلمين»(٢).

ـ إن فلسفة نصر أبوزيد تنتهج نهج الفكر الغربي في تطوير كل شيئ؛ حتى عقيدة المسلمين، وعنده أن تغيير العالم لا يتم حتى ينال التطوير عقائد المسلمين التي نزل بها الروح الأمين جبريل ـ عليه السلام ـ وحيًا قرآنيًا.

يُضاف ـ أيضًا ـ:

١ـ قام الدكتور كامل سعفان بالرد على كتب نصر أبوزيد في رسالته: (هجمة علمانية جديدة).

٢ـ كتب نصر أبوزيد مقالا في كتاب «قضايا فكرية» التي يُشرف عليه

---

(١) المرجع السابق، ص٦٩.

(٢) النص، السلطة، الحقيقة، ص١٤٣، وانظر أيضًا التفكير في زمن التكفير، ص١٥٣.

الماركسي محمود العالم، (الكتاب الثالث والرابع عشر) يدافع فيه عن نفسه، ويرد على من رد عليه؛ مستخدمًا أسلوب المراوغة؛ مدعيًا أنه لايقصد بالخطاب الديني الذي ينقده: الكتاب والسنة؛ إنما يقصد أقوال العلماء والشارحين لهما!!

٣- للدكتور عبدالصبور شاهين ردٌّ عليه بعنوان: «قصة أبوزيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة»، أنقل منه الآتي[١]:

(كتابه «الإمام الشافعي وتأسيس الإيديولوجية الوسطية» :

كتيب من مائة صفحة وعشر صفحات من القطع الصغير، ذو وزن خفيف علميًا، والكتاب يدل على أن الباحث محتف بالشافعي، ومضمونه تقريع له، وتنديد بمحاولة الشافعي التلفيقية إيجاد وسيط بين العقل والنقل، وقد انتصر الشافعي للنقل على حساب العقل، وانتصر للقبلية على حساب الإسلام، ويعود فيكرر ما قاله عن السقيفة في بحوث أخرى سابقة، وما جرى فيها من تدشين السيطرة القرشية على الإسلام والمسلمين، فالتاريخ الإسلامي كله مؤامرة حاكها الخلفاء من قريش. وهو «يتهم» الشافعي بالمغالطة حين قال: (لم أجد لرسول الله سنة ثابتة من جهة الاتصال خالفها الناس كلهم، ولكن قد أجد الناس مختلفين فيها: منهم من يقول بها، ومنهم من يقول بخلافها، فأما أن يكونوا مجتمعين على القول بخلافها فلم أجدها قط) ..وهي شهادة عظيمة من إمام عظيم هو واضع علم المصطلح .ولكن الشافعي في مقياس الباحث

(١) (ص٢١)، و(ص١١٢-١٢٢).

ملفق ومغالط، وكان يناضل من أجل القضاء على التعددية الفكرية والفقهية .

ويقرر الباحث أخيرًا النتيجة التي تتكرر في بحوثه دائمًا :

(آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا قبل أن يجرفنا الطوفان) .لم يحدد أبو زيد مفهوم هذا التحرر، ولا حدود هذه النصوص ذات الطابع الإيديولوجي الخاص؟ وماذا يريد للأمة بعد أن تلقي بالقرآن والسنة جانبًا ؟!.

آراء د. نصر حامد أبو زيد :

(تقرير علمي أعده: مجموعة من الأساتذة).

تمثلت آراء د. نصر حامد أبو زيد في مؤلفاته التي نشير إليها عند النصوص المستقاة منها في الآتي :

أولاً: طعونه في القرآن المجيد، والسنة المطهرة، ومن ذلك :

١ ـ ادعاؤه أن القرآن المجيد ليس وحيًا من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإنكاره سابقة وجوده في اللوح المحفوظ، وزعمه أنه «منتج» ثقافي بيئي .

أي إنه من إفرازات الثقافة العربية لبيئة الرسول ﷺ، ومن إنتاج المجتمع الذي نشأ فيه الرسول ﷺ، فهو من آثار البيئة والمجتمع، ومن ثم يؤكد في أكثر من موضع أن القرآن صورة صادقة للمجتمع في عهد النبي ﷺ وإنما كان ذلك لأنه مستمد من البيئة، وصادر عنها، فلا وحي ولا قداسة .

(أ) يقول د. نصر أبو زيد في كتابه: (مفهوم النص ـ دراسة في علوم القرآن):

«إن القول بأن النص منتج ثقافي يكون في هذه الحالة قضية بديهية لا تحتاج إلى إثبات، لكن القول بأن النص «منتج» ثقافي يمثل بالنسبة إلى القرآن مرحلة التكوين والاكتمال، وهى مرحلة صار النص بعدها، «منتجًا» للثقافة .. إن الفارق بين المرحلتين في تاريخ النص هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها، وبين إمداده للثقافة وتغييره لها» [الصفحة ٢٣ ـ ٢٤] .

ويقول في [ص٢٧]:

«إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على عشرين عامًا، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقًا عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمي للنص» .

وهذا من المؤلف يبين بشكل قاطع أنه يرى أن القرآن ليس وحيًا من عند الله ـ سبحانه ـ وإنما هو منتج ثقافي، ومأخوذ عن ثقافة البيئة العربية التي كان فيها محمد ﷺ، وقد قطع بذلك بوضوح شديد في قوله :

«إن الفارق بين المرحلتين هو الفارق بين استمداده من الثقافة وتعبيره عنها» .. وفى قوله: «فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية، ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمي للنص» .

فهو إذن ليس مستمدًا من عند الله تعالى، ولا وحيًا نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ!! وإنما وبوضوح شديد: «مستمد من الثقافة ومعبر عنها».

ولأن القرآن مستمد من الثقافة البيئية للنبي ﷺ، فكذلك السنة من باب أولى، وهو يحدد لنا المدة الزمنية التي استغرقها النص القرآني، وكذلك نصوص السنة بأنها المدة التي عاشها رسول الله ﷺ نبيًا، وإذا كان قد استعمل في النص السابق لفظتي: منتج، ومستمد، فإنه أضاف إليهما لفظة أكثر وضوحًا هي: «تشكلت»، إذ يقرر أن النص الديني ـ يقصد القرآن والسنة ـ قد تشكل خلال فترة تزيد على العشرين عامًا، ثم يزيد الأمر وضوحًا حين يصف القرآن والسنة بأنهما «نصوص لغوية» وهكذا .. لا وحي، ولا تقديس، ولا إعجاز، ولا تشريع، مجرد نصوص لغوية كما نصف قطعة شعرية أو نثرية .

(ب) يقول د. نصر حامد أبو زيد في كتابه (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) عن القرآن والسنة معًا :

«هي نصوص لغوية تشكلت خلال فترة زادت على العشرين عامًا، وحين نقول: تشكلت، فإننا نقصد وجودها المتعين في الواقع والثقافة بقطع النظر عن أي وجود سابق لها في العلم الإلهي أو اللوح المحفوظ».

والسؤال الآن: هل هناك أوضح عن هذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ على عقيدة الكاتب التي تقرر أن القرآن مستمد من ثقافة العرب، وأنه ناتج عنها، وأنه هو والسنة تشكلاً عن هذه الثقافة فيما يزيد على العشرين عامًا؟ ـ مدة بعثة الرسول ﷺ ثلاثة وعشرون عامًا هجرية ـ ولا يسبقن إلى

الوهم أن لفظة «تشكلت» إنما سبق إليها قلم المؤلف دون قصد، فإن المؤلف نفسه هو الذي أحاط هذه اللفظة بقوسين في كل مرة ذكرها تأكيدًا لأهميتها وما يقصده منها .

ويزداد الأمر وضوحًا بحيث يكشف لنا الرجل عن عقيدته كأنها كتاب مفتوح حين ينفى عن القرآن أي وجود سابق له في علم الله سبحانه، وينفى عنه أي وجود له في (اللوح المحفوظ) .. أليس ذلك تكذيبًا للقرآن المجيد في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١ ـ ٢٢] .

٢ ـ دعوته إلى الخروج على نصوص القرآن والتحرر منها، ورفض الخضوع لها :

ومرة ثانية: هل يحتاج الأمر إلى أوضح من هذا ؟

لا بأس أن نزيد الأمر وضوحًا، أو نزيده وضوحًا فوق وضوح، فننقل عن المؤلف د. نصر حامد أبو زيد نصًا ثالثًا يوضح فيه النتيجة التي يريد أن يصل إليها من خلال طعونه الكثيرة في القرآن والسنة، أو في النص المقدس عندنا، المجرد من كل قداسة عنده .. وما هذه النتيجة؟ إنه يعبر عنها في صفحة ١١٠ من كتاب «الإمام الشافعي» :

«وقد آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لا من سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا قبل أن يجرفنا الطوفان»!!! .

هذه هي النتيجة التي يريد المؤلف أن يصل إليها، وهذا هدفه ـ إذن ـ التحرر، والتحرر مم؟ وممن ؟

إنه يريد التحرر من النص، ومن القرآن والسنة، كأنهما قيدان يحولان دون تقدمه.

وهل انتهى الرجل عند التحرر من النص؟ والجواب: لا .. إنه يريد أن يتحرر (لا من سلطة منزل النصوص وحدها .. بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا هذا).

وهل هناك سلطة فوق سلطة النصوص سوى سلطة منزل النصوص ومحييها ـ سبحانه وتعالى؟

إن الهدف الذي يسعى إليه المؤلف إنما هو التحرر من النصوص ومن منزل النصوص .. إنه يريد التخلص من سلطان الله ـ سبحانه ـ إنه يدعو إلى التمرد على هذه السلطة .. لذا فإن كل من يعظم سلطان الله ـ تعالى ـ على الإنسان والوجود هو عدو للمؤلف .. ومن هنا فقد وقف المؤلف موقف العداء من الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ لأن الإمام الشافعي في اجتهاداته حول القياس والاستحسان إنما يرد كل قضية لم يرد فيها نص إلى ما يماثلها مما ورد فيه نص، ويرجع بالأحكام إلى النص من كتاب أو سنة، وهذا ـ في رأى المؤلف ـ يمكن من سلطان الله على الإنسان، وهذا ما يبغضه المؤلف، الذي يصور خضوع العبد لله بأنه خضوع العبد للسيد، وهذا ما لا يرضاه د. نصر حامد أبو زيد .. الذي يقول في صفحة ١٠٣ من كتابه: (الإمام الشافعي):

«إن هذا الموقف ـ يقصد موقف الشافعي من القياس والاستحسان ـ يعكس رؤيته للعالم والإنسان، وهى رؤية تجعل الإنسان مغلولاً دائمًا بمجموعة من الثوابت التي إذا فارقها حكم على نفسه بالخروج من

الإنسانية، وليست هذه الرؤية للإنسان والعالم معزولة تمامًا عن مفهوم (الحاكمية) في الخطاب الديني السلفي المعاصر حيث ينظر لعلاقة الله بالإنسان والعالم من منظور علاقة السيد بالعبد الذي لا يتوقع منه سوى الإذعان»! .

فالمؤلف د. نصر حامد أبو زيد يرفض مرجعية الوحي الأعلى، ويرفض الإذعان لحكم الله، ويرفض أن ينظر إليه على أنه «عبد» لله، وأن الله تعالى «سيد» له!! كما يرفض بإصرار شديد أن يعيش «مغلولاً» «بمجموعة من الثوابت» أو بمعنى آخر، يرفض أن يعيش خاضعًا لأوامر الله ونواهيه، وما استقر في دين الله ـ تعالى ـ من فرائض وواجبات، وحلال وحرام، مما يسميه د. نصر حامد أبو زيد «مجموعة من الثوابت» ثم يدعو إلى التحرر منها وعدم الخضوع لها!

ولا يسبقن إلى الوهم أن مراد الكاتب من «النص» التراث الفقهي فحسب، فإنه قد صرح مرارًا وفى مواضع عديدة أن مقصوده بالنص هو القرآن والسنة، وعلى سبيل المثال: يقول في كتابه: (الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية) [ص١٥] .

«إن تثبيت قراءة النص الذي نزل متعددًا في قراءة قريش كان جزءًا من التوجه الأيديولوجي للإسلام لتحقيق السيادة القرشية»!! ويقول في [ص٢٨] :

«إن النص الثانوي هو السنة النبوية، وإن النص الأساسي هو القرآن»، والأمثلة على ذلك كثيرة .

ثانيًا: ادعاؤه عدم صلاحية الشرع الشريف ـ كتابًا وسنة ـ لوضع

الحلول لكل القضايا والمشكلات التي تعرض للمسلمين حالاً ومستقبلاً، ودعوته إلى طرح الكتاب والسنة وتجاهلهما حين البحث عن حلول لمشاكلنا:

يقول د. نصر حامد أبو زيد في [صفحة ٢١] من كتاب (الإمام الشافعي):

«ويبدأ الشافعي بتقرير مبدأ على درجة عالية من الخطورة فحواه: أن الكتاب ـ القرآن الكريم ـ يدل بطرق مختلفة على حلول لكل المشكلات والنوازل التي وقعت أو يمكن أن تقع في الحاضر أو في المستقبل على السواء .. وتكمن خطورة هذا المبدأ في أنه المبدأ الذي ساد تاريخنا العقلي والفكري، وما زال يتردد حتى الآن في الخطاب الديني لكل اتجاهاته وتياراته وفصائله، وهو المبدأ الذي حول العقل إلى عقل تابع يقتصر دوره على تأويل النص واشتقاق الدلالة منه».

فالمؤلف هنا يجحد قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، ويكفر بقوله سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والمؤلف فوق كفره بهذه الآيات وغيرها مما يوضح أن القرآن قد تضمن القواعد الكلية التي تحتوي الحلول لكل المشكلات على اختلافها، فإنه يحمل القرآن والمؤمنين به مسئولية تأخر المسلمين وتخلفهم عن غيرهم .. كأن الاستمساك بالإسلام والتزام القرآن والسنة مسئولان عن تخلفنا، وليس العكس.

ثالثًا: إنكار د. نصر حامد أبو زيد عالمية الإسلام، وعموميته،

وشموله لكل الخلق من إنس وجن، وادعاؤه الباطل بأن الإسلام دين للعرب وحدهم:

يقول د. نصر حامد أبو زيد في كتابه: (مفهوم النص):

«فالإسلام دين عربي، بل هو أهم مكونات العروبة وأساسها الثقافي والحضاري».

وهذا إنكار كامل واضح لعمومية الإسلام وعالميته.

والمؤلف د. نصر حامد أبو زيد، بعد أن يقطع بأن الإسلام دين عربي، يزيد الأمر وضوحًا فيبين أن الزعم بأن الإسلام دين عالمي إنما هو خيالات وأوهام ذهنية بعيدة عن الواقع تمامًا.

يقول المؤلف في نفس الكتاب السابق:

«إن الفصل بين العروبة والإسلام ينطلق من مجموعة من الافتراضات الذهنية: أولها: عالمية الإسلام وشموليته ودعوى أنه دين للناس وليس للعرب وحدهم، ورغم أن هذه الدعوى مفهوم مستقر في الثقافة، فإن إنكار الأصل العربي للإسلام وتجاوزه «للوثب» إلى العالمية والشمولية مفهوم حديث نسبيًا»!!!.

والمؤلف هنا يبين عددًا من الأمور التي يعتنقها ويدعو إليها:

١ ـ إن الإسلام دين عربي، وليس عالميًا ولا شاملاً.

٢ ـ إن الادعاء أنه عالمي شامل مجرد افتراض ذهني لا صلة له بالواقع.

٣ ـ إن دعوى عالمية الإسلام وشموله مفهوم مستقر في «الثقافة» وليس في القرآن والسنة والدين كله.

٤ ـ إن الادعاء بعالمية الإسلام «وثب» إلى العالمية، كأنه انتهازية وسرقة وغصب.

٥ ـ إن دعوى العالمية الإسلام وشموله مفهوم حديث نسبيًا .. أي إنه لا صلة له بالقرآن أو بالسنة.

هذا كله رغم أن عالمية الإسلام وشموله لكل الأجناس بل للخلق جميعًا من إنس وجن، هذه حقيقة من الحقائق الإيمانية المعلومة من الدين بالضرورة، ومنكرها كافر خارج عن الملة.

ورغم أن إنكارها مؤد بالضرورة إلى تكذيب للقرآن والسنة الصحيحة، تكذيب للقرآن القطعي من مثل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَـذِيرًا ...﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

وبعـد ...

فإن علماء الأمة سلفًا وخلفًا قد اتفقوا على أن من أنكر ما علم من الدين بالضرورة فقد كفر بعد إسلامه، وارتد عن دين الله.

والمؤلف المدعو د. نصر حامد أبو زيد من خلال مؤلفاته، والفكر الذي ضمنها إياه قد أتى أفكارًا واعتنق مبادئ كلها تكفر القائل بها، ومن باب أولى تكفر الداعي إليها عن طريق النظر أو التدريس.

فهو قد استعلن بالأفعال والآراء الآتية :

أولاً: ادعى أن القرآن ليس وحيًا من عند الله ـ تعالى ـ وإنما هو مستمد من البيئة العربية، وناتج عنها، «منتج» ثقافي لهذه البيئة .

ثانيًا: أنكر أن يكون القرآن في علم الله الأزلي، أو يكون في اللوح المحفوظ، مكذبًا بذلك صريح القرآن المجيد في مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

ثالثًا: دعا ـ وبإلحاح شديد ـ إلى التخلص من سلطة النص ـ القرآن والسنة ـ بل دعا إلى التحرر من كل سلطة فوق سلطة النص .. ولا معنى لذلك سوى سلطان الله .. سبحانه .

رابعًا: أنكر أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وأنكر أن يكون مشتملاً على حلول للقضايا والمشكلات التي تواجه المسلمين في كل عصر ومصر .

خامسًا: أنكر أن الإسلام دين عام للإنسانية كلها، وزعم أن الإسلام دين للعرب فقط، وزعم أن دعوى عالمية الإسلام فكرة حديثة وليست حقيقة ثابتة بالكتاب والسنة، كما زعم أن دعوى عالمية الإسلام مجرد تصور ذهني لا حقيقة واقعية له .

سادسًا: دعا إلى أن يتحرر الإنسان من عبوديته لله، وأن يقضى على تلك العلاقة التي تقوم بين الله والإنسان على أنها بين سيد وعبد .

هذه بعض الآراء والأفكار والمعتقدات التي تبناها المدعو د. نصر حامد أبو زيد، وهى آراء تخالف القرآن والسنة وإجماع المسلمين سلفًا وخلفًا وإلى قيام الساعة، وتجحد النصوص القطعية الصريحة من

الكتاب والسنة .. وتؤدى بصاحبها إلى الارتداد عن دين الله ـ عياذًا بالله .

ونحن إذ نقرر هذه الحقيقة قيامًا بالشهادة لله، وأداء لأمانة البلاغ التي أخذ الله بها الميثاق على حملة كتابه وسنة نبيه ﷺ، فإننا نذكر المؤلف أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي فى الباطل، فإن الحق قديم لا يغيره شيئ، وأن رجوعه إلى الحق لا يزيده إلا شرفًا وعزًا، وأن الذين يزينون له العناد والإصرار اليوم ليسوا بخلصاء ولا بنصحاء، وأنهم جميعًا لا يغنون عنه من الله شيئًا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] .

كما نناشده أن يبادر إلى التوبة فإن التوبة تجب ما قبلها، وأن يتذكر دائمًا أن له له ربًا يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل، وأنه أشد فرحًا بتوبة عبده ممن ضلت له ناقة في الفلاة، وكان عليها زاده وماؤه فجلس ينتظر الموت، فأخذته سنة من النوم، ثم انتبه فوجد الناقة قائمة على رأسه وعليها زاده وماؤه، فقال: يا رب .. أنت عبدي وأنا ربك!! أخطأ من شدة الفرح .

وإنا لنبتهل إلى الله من أعماق قلوبنا أن يبصره بالحق، وأن يرده إلى دينه ردًا جميلاً، وأن يقيض له من إخوانه وخلصائه من يعينه على ذلك... اللهم آمين).

*　　*　　*